الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردًا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما
ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية افغير الله ابتغي
حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو تقرير كقوله أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في
شك فسل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك و
حكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا قال
قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل فظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر
من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد
على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي
وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل
بالك من شاذ التفسير بسواه بما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي
ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا

مخاطب بذلك غيره

هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقاء الملك او يكون ذلك قبل لقائه
الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم
عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث
ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له
عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية
البشرية وفي الصحيح عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه
الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى
شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة
قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي
من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق
من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا
ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل
على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره
واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال
لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون
هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي عليه السلام قال لخديجة اني اسمع

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)